

الفاعلية الذاتية وأثرها على التحصيل الدراسي



Self-Efficacy and its implications on Academic Achievement

تنص النظرية الاجتماعية المعرفية (**Social Cognitive Theory**) على أن العمليات الذهنية الباطنية من مشاعر و أفكار و توقعات تعمل كوسيط بين العوامل الخارجية و السلوك الظاهري، وتعتبر الفاعلية الذاتية (**Self-Efficacy**) إحدى أهم هذه العوامل. ويمكن تعريف "الفاعلية الذاتية"-وتسمى القدرة المدركة (**Perceived Ability**) أحياناً- على أنها الثقة التي يمتلكها الأفراد بقدراتهم على التفوق في أداء مهمة ما، فوجود تلك الثقة يعمل كدافع للإقدام على المهام وإنجازها، إما إن اعتقد الفرد صعوبة المهمة فلن يقدم عليها وسيجنبها.

لقد مضى على ما يقارب العقدين من الزمان على ظهور مبدأ الفاعلية الذاتية عندما طرحه العالم ألبرت بندورا **Albert Bandura** رائد النظرية الاجتماعية، و اعتبره من أهم عناصرها. ولهذا، فإن محصول البحث في هذا المجال يعد ضئيلاً وحديث عهد نسبياً، بيد أن الاهتمام بالأبحاث المتعلقة بالتعليم والتدريس وخاصة تلك التي تركز على مبدأ الفاعلية الذاتية ازدادت كثافة في الآونة الأخيرة، حيث أكدت الدراسات الحديثة ضرورة ارتفاع مستوى الفاعلية الذاتية لدى الطلاب لتمكينهم من مواجهة المهارات الجديدة والصعبة، بالإضافة إلى تأثيرها القوي على تحسين أداء الطلاب الدراسي بشكل مباشر وغير مباشر؛ هذا التأثير لا ينحصر على أدائهم التحصيلي فحسب، بل تعد دليلاً واضحاً على نجاح الطلاب على الصعيدين المهني والأكاديمي على حد سواء.



إن الطلاب الذين تكون فعاليتهم الذاتية منخفضة عادة ما يجتنبون المهام الصعبة، وحتى إن أقدموا على تجربتها فهم في الغالب يفقدون الأمل بسهولة، ويعززون فشلهم إلى عدم امتلاكهم القدرات الكافية وانعدام إيمانهم بها، أما إن شاء الأمر و تمكنوا من تحقيقها، فهم في هذه الحالة يعززون النجاح إلى عوامل خارجية لا إلى قدراتهم الشخصية وجهودهم. في المقابل، فإن الطلاب ذو الفاعلية الذاتية المرتفعة يقدمون على مواجهة المهام الصعبة بكل ثقة، ويقاومون التحديات لمدة أطول، كما يبذلون جهوداً أكبر من أجل إنجازها. في حال فشلوا في تحقيقها، يعززون ذلك إلى قلة الجهد المبذول أو إلى عوامل بيئية معرقله، وفي حال نجاحهم فهو بسبب قدراتهم الذاتية. وعليه يمكن استنتاج أن مسبب النجاح الحقيقي هو إيمان هؤلاء الأفراد بقوة قدراتهم، بغض النظر عن قدراتهم الفعلية.

في التعليم العالي خصيصاً، يحتاج طلاب الجامعة إلى امتلاك حس الإدارة الشخصية والقدرة على تحمل مسؤولية تعلمهم بأنفسهم، ولذا كانت الحاجة إلى رفع فعاليتهم الذاتية أمر ضروري لضمان نجاحهم أكاديمياً.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الفاعلية الذاتية لا تتبر من الخصال الشخصية المتأصلة بالفرد؛ فهي تتغير بتغير المهمة التي يواجهها الطالب، إذ قد ترتفع فعاليتهم الذاتية في حل مسائل الرياضيات الصعبة، بينما تنخفض لديه في مهارات الخطابة والإلقاء مثلاً. فهي إذاً غير ثابتة و تعتمد بشكل مباشر على التقييم الذي يتلقاه الطالب على أدائه بشكل دوري.

“They are able
who think they are able.”

Virgil



وللفاعلية الذاتية أربع عوامل تؤثر:

1. التجارب والإنجازات السابقة **Enactive Mastery Experiences**: سواء أكانت تلك التجارب ناجحة أم فاشلة. ويعتبر هذا أهم عامل في الفاعلية الذاتية، إذ أن ما يكونه الطالب من مشاعر عن تلك التجارب تتأصل في ذهنه باطنياً، فإن كانت تجارب ناجحة فسوف ترفع فاعليته الذاتية، وإن كانت فاشلة فستخفضها.
2. التجارب البديلة المأخوذة من النماذج الحية **Vicarious Experience**: عادة ما يقارن الطالب نفسه بأقران يعتقد أنهم يشابهوه في القدرات ومستوى الذكاء. ومراقبة نجاح (أو فشل) هؤلاء الأقران يؤثر بشكل مباشر على فعالية الطالب المراقب، لذا كان شهود نجاح الأقران أمر ضروري في تعزيز فعالية ذلك الطالب الذاتية.
3. الإقناع اللفظي **Verbal Persuasion**: إن محاولة إقناع الطلاب لفظياً، ممن يشكون بقدراتهم، وبث فكرة امتلاكهم المهارات اللازمة للنجاح أمر في غاية الأهمية. ففي المجال التعليمي، يتخذ الإقناع اللفظي صوراً عدة منها التغذية الرجعية **feedback**، و التقييم **evaluation**، والتشجيع **encouragement**. وكما هو الوضع في معظم الحالات، عادة ما يركز الأساتذة على نقاط ضعف الطالب كوسيلة لتبرير ما فقده من علامات في امتحان أو واجب ما، وهذا يكون لدى الطالب مشاعر سلبية حيال قدراته الذاتية. ما يجب على الأساتذة فعله هو الإشارة إلى الجوانب التي أبدى فيها الطالب أداءً جيداً ومن ثم إعطائه تغذية رجعية واضحة وصريحة حول ما يجب عليه فعله للاستمرار في التقدم واكتساب المهارات التي يسعى نحو تقويتها. ولهذا يجب أن تكون التغذية الرجعية واقعية وصادقة ومن مصدر موثوق، فيمكن لحالة الطالب النفسية أن تؤثر إما سلباً أو إيجاباً على أدائه وفعالته الذاتية.
4. الحالة الفسيولوجية والنفسية للفرد **Physiological and Emotional States**: فالقلق، و الخوف، و الارهاق و القلق المزمنين، جميعها مؤثرات على الفاعلية الذاتية، فقد تجد طالباً شديد الانتباه حريصاً على واجباته، لكنه بسبب القلق النفسي الذي يعتره، لا يبدي أداءً جيداً في امتحاناته. في هذه الحالة، يجب على الأستاذ أن يجد سبيلاً يساعد فيه على التقليل من قلق الطالب من الامتحانات والتركيز على أداء الطالب ورفع ثقته بنفسه، وبالتالي تحسين أداء الطالب بشكل عام. ويمكن لعضو التدريس فعل ذلك من خلال تكوين مجموعات للدراسة، أو مشاركة الطالب باستراتيجيات قد تساعده أثناء الدراسة والامتحانات، أو عرض وسائل للراحة والتقليل من التوتر النفسي المصاحب لفترة الامتحانات، بالإضافة إلى خلق بيئة يغلب عليها الألفة والتعاون.

أما بالنسبة لبعض الممارسات التي يمكن للأستاذ إتباعها من أجل رفع الفاعلية الذاتية لدى الطلاب، فيمكن اختصارها في الآتي:

1. تكوين نموذج حي يمكن للطلاب إتباعه (النمذجة الحية) **Modeling**: ويقصد بها العملية التي يعرض فيها الأستاذ ويصف كيفية اكتساب مهارة معينة وممارستها ببراعة، حيث أن تقديم المعلومات الواضحة للطلاب من شأنه زيادة ثقة الطالب بقدرته على اكتساب المهارة والبراعة فيها. ويمكن لكلا الأقران/ الزملاء أو الأساتذة أن يقوم بمهمة النمذجة، إذ يعتقد كثير من الباحثين أن العمل على مهمة ما مع زميل ماهر يساعد الطالب على انجاز المهمة والنجاح فيها.
2. تحديد الأهداف **Goal Setting**: لا بد من تحديد أهداف قريبة المدى لا بعيدة لكي تساعد الطالب على الوصول إليها، وهذا لا ينفي ضرورة أن تكون هذه الأهداف صعبة إلى حد ما (فالأهداف السهلة لا تشكل حافزاً للطالب، والصعبة منها تقلل مستوى فاعليته الذاتية)، لكن يجب على الأستاذ توضيح الخطوات اللازم إتباعها من أجل الوصول إلى الأهداف بدقة، بدلاً من المرور عليها بصورة سريعة والذي قد يكون سبباً في إحباط كثير من الطلاب.



Good
Job!
😊

3. تقديم المكافآت **Rewarding**: وهي سلاح ذو حدين، ولا بد أن يقدمها الأستاذ بعناية و حذر شديدين، وقد تكون في صورة ثناء أو علامات إضافية أو واجبات سهلة وممتعة، وغيرها من الحوافز.
4. تشجيع طلاب المستويات الدراسية المتقدمة (المستوى الخامس أو السادس مثلاً) على التحدث مع طلاب المستويات الدراسية الأولى-خاصة ممن هم في نفس التخصص- وإرشادهم نحو سبل النجاح، مما يعود بالنفع على الطلاب بمجملهم ويزيد ثقتهم بأنفسهم.

ختاماً، تختلف الآراء حول الفاعلية الذاتية من شخص لآخر، بل إنها تتباين في الفرد الواحد بناء على المهمة التي يحاول إنجازها. وفي كثير من الأحيان ترتبط الفاعلية الذاتية بالثقة بالنفس، كما أنها تؤثر على كيفية إقدام الأفراد على مواجهة التحديات والمهام الجديدة، وتساهم في الأداء بشكل كبير؛ ذلك لأن ما يؤمن به الفرد يؤثر على عملياته الذهنية وحماسه نحو العمل، وسلوكه. وبسبب ذلك كله، كان على عضو هيئة التدريس مهمة مراقبة فعالية طلابه الذاتية ومساعدتهم في رفع المنخفض منها، لكي يكون أفراد فاعلين نشطين مساهمين في بناء الأمة وتقدمها.

References:

1. Tenaw, Y. (2013). RELATIONSHIP BETWEEN SELF-EFFICACY, ACADEMIC ACHIEVEMENT AND GENDER IN ANALYTICAL CHEMISTRY AT DEBRE MARKOS COLLEGE OF TEACHER EDUCATION. *African Journal of Chemical Education*,3(1).
2. Enhancing Self-Efficacy and Learning Performance. (2002). *The Journal of Experimental Education*,70(3), 243-254.
3. Garlin, F. (2014). Identifying opportunities to enhance students' academic self-efficacy. *Professional Development Workshop*.
4. Falls, I. (n.d.). Improving students' perception of self-efficacy through peer, instructor, and self-evaluation of class participation.
5. Schulze, P., & Schulze, A. (n.d.). Believing is Achieving: The Implications of Self-Efficacy Research for Family and Consumer Sciences Education. *RESEARCH APPLICATIONS IN FAMILY AND CONSUMER SCIENCES*.
6. THE ROLE OF SOCIAL SUPPORTS AND SELF-EFFICACY IN COLLEGE SUCCESS. (2010). *RESEARCH TO PRACTICE BRIEF*.